

**D3: Préface de Cheikh Mohamed Nokari**  
**Livre « Valeur des Valeurs »**  
**Edition arabe**

تقديم

القاضي الشيخ محمد نقري

قد يسترعي انتباه المطلع على هذا الكتاب أن أصيغ مقدمته نظراً لما يحمله من عنوان في النظرة المسيحية إلى المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة، ونظراً لما أحمله من لقب وأشغله من مهام داخل المؤسسة الإسلامية الرسمية. هذا التساؤل قد ينجلي عند الكثيرين إذ يرون في هذه المقدمة سعياً إلى الوقوف على أرضية مشتركة تتقارب فيها النظرة المسيحية مع النظرة الإسلامية للمسؤولية الاجتماعية للمؤسسة. وقد لا ينجلي عند البعض - وهم القلة - الذين لا يرون في الإلتقاء - أي التقاء - على أسس متطابقة وأرضية مشتركة بين الديانتين السماويتين أي فائدة وأي رجاء.

إن الأسس الإسلامية التي دفعتني إلى تقديم هذا الكتاب قائمة على أساس «الكلمة السواء» التي ينبغي لها أن تجمع بين أتباع الأديان السماوية الثلاثة. هذه الكلمة تنطلق من الجانب الإسلامي من مدلول الخطاب القرآني لأتباع هذه الديانات: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ، وقال أيضاً: ﴿وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ وأيضاً خطابه إلى المسلمين كافة: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾.

وتنطلق من الجانب المسيحي من مقررات المجمع الفاتيكاني الثاني الذي ينص: «على أن الكنيسة تنظر بعين الاعتبار إلى المسلمين الذين يعبدون الله الأحد الحي القيوم الرحمن القدير فاطر السموات، وتستكمل مع البيان اللاهوتي الذي قدمه المستشرق الفرنسي لويه غارديه بعنوان نحو حوار مع المسلمين سنة 1966 وهو البيان الذي تبع المجمع الفاتيكاني الثاني. وقد أشار فيه إلى ضرورة دعوة المسلمين والمسيحيين إلى استبعاد الأفكار الزائفة وإزالة أسباب سوء التفاهم التي

حملها المسلمون عن المسيحيين وحملها المسيحيون عن المسلمين، ثم تناول موضوع عظمة وسمو الله تعالى والعلاقة بين الله والإنسان وبين الله والعالم، ثم أثار موضوع المفاهيم والقيم الفلسفية الأخلاقية عند المسلمين، ثم تحدث أخيراً عن الموقف الديني الإيجابي الذي يجب أن يتبناه المسيحيون في الحوار مع المسلمين.

وتستكمل أيضاً مع الكتاب الذي أصدره الفاتيكان سنة 1975 بعنوان إرشادات وتوجيهات من أجل حوار بين المسلمين والمسيحيين، وقد أشار فيه الكتاب إلى ضرورة قبول المسلم كما يريد أن يكون وإلى ضرورة معرفة قيم الإسلام والإنجازات الدنيوية التي قدمها إلى البشرية، وشدد على ضرورة اعتبار الإسلام عقيدة دينية ذات قيم روحية سامية، ثم أرشد إلى الطريقة التي يجب أن يتبعها المسيحي عند التحدث عن القرآن الكريم وعن الأنبياء المرسلين، دون أن ننسى مؤخراً مقررات سينودوس أساقفة الشرق الأوسط الأخير الذي عقد من الفترة من 10 - 24 أكتوبر/تشرين الأول 2010 والذي دعا فيه الأديان إلى الاضطلاع بمسؤولياتها لتعزيز حوار الثقافات والحضارات في منطقتنا وفي العالم اجمع، وإلى ضرورة التركيز على حوار الحياة بين المسلمين والمسيحيين.

ومن الناحية العملية تستكمل النظرة الإسلامية مع مبدأ الأنفعية في المجتمع انطلاقاً مما ذكره نبي الإسلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أن: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، باعتبار أن محبة الله للناس لا تعطى في المقام الأول للمكثرين المخلصين في عبادته بقدر ما تعطى للمكثرين المخلصين بأنفعيتهم للناس، وهي تلتقي أيضاً مع كلام آخر للرسول محمد صلى الله عليه وسلم: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على أدناكم، أو كفضل القمر على سائر الكواكب (من حيث أن القمر يعكس نور الشمس على الأرض فيستفيد به أهل الأرض جميعاً وكذلك العالم يستفيد بعلمه كافة الناس، أما العابد فلا يفيد إلا نفسه)». وإن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير». وفي سياق هذه الأحاديث النبوية ذُكر للنبي محمد صلى الله عليه وسلم رجل يصوم النهار ويقوم الليل وقد انقطع للعبادة، فقال

: « من ينفق عليه ؟ » قيل : أخوه، قال : « أخوه خير منه »

فالخيرية التامة الإكمال من وجهة النظر الإسلامية تتحقق في كل ما يقوم به مطلق إنسان مؤمن بربه وباليوم الآخر من أعمال صالحة تعم فائدتها على بني البشر على حد سواء. وقد اقترن الإيمان بالله تعالى مع العمل الصالح في القرآن الكريم : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات » وهم في ذلك سواء : المسلم منهم و المسيحي و اليهودي : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

ومن بوادر ما يصلنا من هذا الخير أن نلتقي فيما بيننا لمعرفة القواعد المشتركة التي يجتمع عليها الإسلام والمسيحية. مما يحضرني في هذا المجال ما ذكرته كتب السيرة والتاريخ عن قول نجاشي الحبشة وملكها المسيحي، لأول وفد مسلم التجأ إليه بعد أن قرأ عليه ما يقوله القرآن الكريم عن المسيح وأمه الطاهرة البتول مريم عليهما السلام : « إن هذا (أي القرآن الكريم) والذي جاء به عيسى (أي الإنجيل) ليخرج من مشكاة واحدة. ومن هذا القول أقتبس ما دل على المعنى الذي قال به النجاشي لأقول بأن النظرة الإسلامية إلى المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة تتطابق في كثير من الأهداف مع النظرة المسيحية وإن اختلفت معها في المفردات والتعبير، وهي لان كانت كذلك فلأن مشكاة السماء تظللنا معاً مسيحيين ومسلمين : منها نستلهم إيماننا وبها نقوم دعائم مجتمعاتنا وعلى أساسها نبلور أسسنا الأخلاقية وقيمنا الثقافية.

إن استعراض هذه المبادئ التي تدعو إليها المسيحية في تحميل المؤسسات مسؤوليات بيئية واجتماعية تأخذ بعين الاعتبار المبادئ الدينية والأسس الأخلاقية والقيم الإنسانية يؤكد لنا أهمية المسعى وضرورة التعاون في هذا المجال. فبعد أن أصبحت مجتمعاتنا متعددة الانتماءات والإتجاهات والأعراق والأديان، أصبحت مسؤولياتنا مشتركة. فما من شركة أو مؤسسة إلا ويوجد بها مسلمون ومسيحيون وأتباع ديانات أخرى، فكيف ينبغي علينا أن نتعاون في سبيل الخير العام ومن أجل إرساء قواعد العدالة والإنسانية التي تقوم عليها الأديان السماوية السمحة وخاصة

المسيحية والإسلام. لا بد لنا أن ننظر الى حقوق العامل بل ولا بد لنا أن ننظر إلى الإنسان الذي لم تهيئه ظروف الحرمان والفقر والمرض والشيخوخة إلى إيجاد عمل يرفع عنه وعن عياله العوز وذل مسألة الناس. يروى في التاريخ الإسلامي أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رأى يهودياً مسناً أعمى يتكفف الناس ، فسأله : من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودى ، قال : فما ألجأك الى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية و الحاجة و السن، فأخذ عمر بيده ، و ذهب به الى منزله فأعطاه مما وجدته، ثم أرسل به الى خازن بيت المال، و قال له، أنظر هذا و ضرباه (أي أمثاله) ، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، ثم صرف له من بيت مال المسلمين مبلغ شهري يتقاضاه و كل ذي حاجة من المسنين دون أي اعتبار لانتماءهم الديني.

إن مسؤولية المؤسسة سواء انطلقت من مفاهيم مسيحية أو إسلامية اتجاه العامل مهما كان انتماءه الديني تأخذ بعين الاعتبار أسس العدالة والتضامن والأخاء التي قامت عليها هاتان الديانتان السماويتان. فمن الناحية الإسلامية تذخر كتب الفقه الإسلامي وسجلات المحاكم الشرعية والوقفات الخيرية بالعلاقة التي يجب أن يرتبط بها صاحب العمل أو المؤسسة مع العامل، كما تتطرق إلى العلاقة التي يجب أن تربط المؤسسة أو المصنع بالبيئة على اعتبار ان الطبيعة هي ودیعة أو دعتها الله أمانة لدى الإنسان الذي اعتبره الله خليفته على أرضه.

بعد تحديد هذا الكتاب للقيم المسيحية في مجال المسؤولية الإنسانية والاجتماعية والبيئية للمؤسسة، لا بد لها من أن تلتقي مع القيم الإسلامية في خطوطها العريضة، وإن اختلفت معها في كثير من المفردات والألفاظ، وحتى تكتمل فإننا نتطلع إلى اليوم الذي يعلن فيه عن القيم المشتركة بين الديانتين السماويتين المسيحية والإسلام في مجال المسؤولية الاجتماعية للمؤسسة.